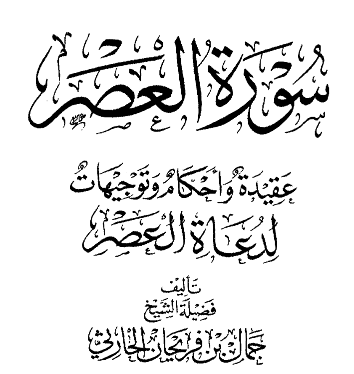
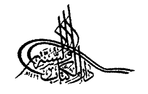
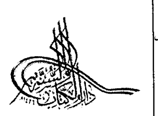

سورة العصر
عقيدة وأحكام وتوجيهات
لدعاة العصر
تأليف
فضيلة الشيخ
جمال بن فريحان الحارثي




بسم الله الرحمن الرحيم



سورة العصر
عقيدة وأحكام وتوجيهات
لدعاة العصر



(ح) جمال بن فريحان الحارثي
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الحارثي ، جمال فرحان
سورة العصر عقيدة وأحكام وتوجيهات لدعاة العصر/ جمال فرحان الحارثي الطائف ١٤٢٦هـ
٤٠ص؛ ١٩ سم
ردمك: ٤ – ٨٨٢ – ٤٩ – ٩٩٦٠
١. الوطنية ٢ أ– العنوان
ديوي ٦ , ٢٢٧ ١٤٢٦/٧١٢٢
رقم الإيداع: ١٤٢٦/٧١٢٢
ردمك: ٤ – ٨٨٢ – ٤٩ – ٩٩٦٠

الطبعة الأولي ٢٠٠٧/٢/١٩
لدار الكتاب والسنة
رقم الايداع بهيئة الكتب والوثائق القومية
٢٠٠٧/٨٨٩٣

دار الكتاب والسنة
للطباعة والنشر والتوزيع

عين شمس الشرقية – القاهرة جمهورية مصر العربية .
جوال :٠١٠٤٦٧١٤٣٩ – ٠١٠١٠٢١١٨٧
موقعنا على الإنترنت
www.dar-ketabsunah.com
للتواصل عبر الماسنجر
Dar_alktabwalsunnah@hotmail.com
Dar_alktabwalsunnah@yahoo.com
البريد الإلكتروني
marketing@dar-ketabsunah.com
إدارة التسويق
production@dar-ketabsunah.com
إدارة الإنتاج
Admin@dar-ketabsunah.com

المقدمة

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثة بدعة وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

لقد أمرنا الله تعالى بتلاوة كتابه العزيز، والأيمان به، وتدبره، والتحاكم إليه والعمل به، و اتباع ما جاء فيه من أوامر، والانتهاء عما جاء فيه من نواهي.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٢].

وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

وسنقف على سورة عظيمة من سور القرآن الكريم؛ سورة قصيرة، آياتها ثلاث، فيها من المعاني العظيمة، والفوائد الغزيرة، كلها عقيدة، وأحكام، وتوجيه للعامة والخاصة، وفيها الفوائد والنصائح والعبر للدّعاة إلى الله تعالى.

ألا وهي سورة (العصر).

فنسأل الله تعالى العلي الكريم أن ينفعنا بالقرآن، وأن يجعلنا

من التالين له، الذين يقال لهم يوم القيامة: «**اقرأ وارق ورتل، كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**».

أحمد (٢/ ١٩٢، ٤٧١)، والترمذي (٢٩١٤) وصححه.

وأن نكون من المؤمنين بما جاء فيه، العاملين بأوامره، المنتهين عن نواهيه، الواقفين عند حدوده، وأن ينفعنا بما نكتب، وبما نقرأ، وبما نسمع من الحق، وأن يكون هذا القرآن شافعًا لنا يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: «**اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**». مسلم (٨٠٤).

وبعد انتهائي من كتابة هذا المؤلَّف وهذه المقدمة؛ عرضتُ عملي هذا على شيخنا الفاضل العلّامة صالح الفوزان - حفظه الله تعالى -، وأطال عمره، وأحسن عمله، وختم لنا وله بخير، فصوّب لي عدة مواضع؛ بلغت نحو ثلاثة عشر موضعًا، فجزاه الله عني كل خير، ونفعنا بعلمه وسمته، وخلقه، واعتذر حفظه الله عن التقديم.

إنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه

أبو فريحان

جمال بن فريحان الهميلي الحارثي

١١/ ١١/ ١٤٢٥هـ.

سورة العصر
سورة مكية، نزلت بمكة على أرجح الأقوال

(فضلها)

عن أبي مدينة الدارمي عبد الله بن حفص قال: **«كان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا التقيا؛ لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر**: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾، ثم يسلم أحدهما على الآخر».

أخرجه الطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «الشعب»: (٩٠٥٧)، انظر «الصحيحة» (٢٦٤٨).

وجاء عن الإمام الشافعي رحمه الله قوله: «لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم». ذكره الحافظ ابن كثيرفي تفسيره.

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١﴾.

فيه مسائل:

المسألة الأولى: القسم من الله تعالى.

الواو: من حروف القسم، التي هي: «الواو، والتاء، والباء».

كقولك: والله- وتالله- وبالله.

أما «آلله؛ مختصرة من قول: والله، حذفت الواو بعد الاستفهام»، قاله شيخنا الفوزان - حفظه الله تعالى - عند مراجعته لهذا المؤلف.

وهنا يقسم الله تعالي بـ ﴿وَالْعَصْرِ ۝١﴾، وهو هنا بمعنى: الدهر. على أرجح الأقوال، ولله تبارك وتعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وقد أقسم سبحانه بالفجر، وبالليل، وبالشمس، وبالقمر، والضحى، وغير ذلك.

المسالة الثانية: قسم العالَمين.

وتحتها مايلي:

١) أما المخلوقون؛ من الإنس والجن، فلا يجوز لهم أن يقسموا بشيء من المخلوقات وإنْ عظموا؛ كالملائكة والنبيين والصديقين والأولياء، ولا بغيرهم؛ كالأحجار والأشجار وغيرها، وإنما القسم من قِبَل المخلوقين؛ لا يكون إلا بالله تعالى وحده.

قال ﷺ: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت». البخاري (٥٧٥٧، ٦٢٧٠)، ومسلم (١٦٤٦).

وقال عليه السلام: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون».

أبو داود (٣٢٤٨)، والنسائي (٣٧٧٨)، وصححه الألباني ثَمّ.

واعلموا عباد الله ان الحلف بغير الله شرك.

قال ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**».

الترمذي (١٥٣٥) وحسنه، وصححه الحاكم على شرط الشيخين (٤/ ٢٩٧)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٥٦١).

وقال ﷺ: «**من حلف بالأمانة فليس منا**».

أبو داود (٣٢٥٣)، والبيهقي (١٠/ ٣٠) وصححه الألباني في «المشكاة» (٣٤٢٠).

٢) الحلف بالله - على أمرٍ ماضٍ - كاذبًا عامدًا ليرضي بذلك أحدًا، أو ليعتذر، أو ليقتطع بها مال امرئٍ مسلم عالمًا بخلاف ما يحلف؛ فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، وهي ما تسمى بـ(اليمين الغموس)؛ التي تغمس صاحبها فى النار.

قال ﷺ: «**الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس**». البخاري (٦٢٩٨، ٦٤٧٦)، وغيره.

وسميت اليمين الكاذبة؛ (غموسًا): لأنها تغمس الحالف المتعمد في الإثم فى الدنيا وفي النار في الآخرة. قاله

الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٥٥٥).

وهذه اليمين الغموس لا كفارة فيها؛ وهذا قول جمهور العلماء لعظم إثمها.

قال ابن حجر: «وقال ابن التين: اليمين الغموس: التي ينغمس صاحبها في الإثم، ولذلك قال مالك: لا كفارة فيها، واحتج أيضًا بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ﴾، وهذه يمين غير منعقدة، لأن المنعقد ما يمكن حله، ولا يتأتى في اليمين الغموس البر أصلًا».

وقال أيضًا: «واستدل به - أي بالحديث - الجمهور، على أن اليمين الغموس؛ لا كفارة فيها للاتفاق على أن الشرك والعقوق والقتل لا كفارة فيه، وإنما كفارتها التوبة منها، والتمكين من القصاص في القتل العمد، فكذلك اليمين الغموس، حكمها حكم ما ذكرت معه .. ونقل محمد بن نصر في اختلاف العلماء، ثم ابن المنذر، ثم ابن عبد البر: اتفاق الصحابة على أنْ لا كفارة في اليمين الغموس». انتهى. «الفتح» (١١/ ٥٥٧، ٥٥٦).

ومع هذا الإثم العظيم لمن حلف بالله كاذبا متعمدًا؛ إلا أن ذلك أهون جرمًا، وأقل إثمًا في مقابل من حلف بغير الله صادقًا، لأن الفرق واضح، فالأول حلف بالله كاذباً، وهذا كبيرة من الكبائر دون الشرك بالله، وهي تحت مشيئة الله

تعالى؛ إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه، ثم أدخله الجنة، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

ولهذا فهم الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود أن الشرك بالله أعظم من الكبيرة فقال: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليّ من أن أحلف بغيره وأنا صادق».

صححه الألباني في «الإرواء» (٢٥٦٢)، و«صحيح الترغيب» (٢٩٥٣).

٣) اللغو في اليمين على وجهين:

الوجه الأول:

منْ حلف بالله على امرٍ ماضٍ ظانًا على أن الأمر كما قال؛ لا يريد منه إلا الصدق فإذا هو ليس هو، فهذا لغو يمين.

الوجه الثاني:

قول الرجل: لا والله، وبلى والله، فهذا أيضًا لغو اليمين، وفيه قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ

وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٢٥].

وقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩].

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: «أي: لا يعاقبكم ولا يلزمكم بما صدر منكم من الأيمان اللاغية، وهي التي لا يقصدها الحالف، بل تجري على لسانه عادة من غير تعقيد ولا تأكيد، كما ثبت في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**من حلف، فقال في حلفه: باللات و العزى، فليقل «لا إله إلا الله»** »، فهذا قاله لقوم حديثي عهد بجاهلية، قد أسلموا وألسنتهم قد ألِفت ما كانت عليه من الحلف باللات من غير قصد، فأُمروا أن يتلفظوا بكلمة الإخلاص؛ كما تلفظوا بتلك الكلمة من غير قصد لتكون هذه بهذه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ الآية، وفي الآية الأخرى ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾».

قال أبو داود: «باب لغو اليمين».

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**اللغو في اليمين هو: كلام الرجل في بيته، كلا والله، وبلى والله**». حديث (٣٢٥٤).

وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٥٦٧) مرفوعًا، وقال: .

رواه البخاري وغيره موقوفًا.

٤) من حلف على يمين فرأى خيرًا منها؛ شُرِعَ له الحنث والكفارة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾. قال: «**لا تجعلن عرضة ليمينك؛ أن لا تصنع الخير، ولكن؛ كَفِّر عن يمينك واصنع الخير**».

وكذا قال مسروق، والشعبي، وإبراهيم، النخعي، ومجاهد، وطاوس، وسعيد بن جبير، وعطاء، وعكرمة، ومكحول، والزهري، والحسن، وقتادة، ومقاتل بن حيان، والربيع بن أنس، والضحاك، وعطاء الخرساني، والسدي - رحمهم الله .

ويؤيد ما قاله هؤلاء الجمهور ما ثبت في «الصحيحين»، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرًا منها؛ إلا أتيت الذي هو خير، وتحللتها**». البخاري (٥١٩٩، ٦٣٤٢)، ومسلم (١٦٤٩)، وليس فيه وتحللتها.

وثبت فيهما أيضًا أن رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن سمرة: «**يا عبد الرحمن بن سمرة! لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها من غير مسألة؛ أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة؛ وكلت إليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها**

خيرًا منها؛ فأت الذي هو خير، وكفّر عن يمينك». البخاري (٦٣٤٣) واللفظ له، ومسلم (١٦٥٢).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«**من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها؛ فليُكفّر عن يمينه، وليفعل الذي هو خير**». مسلم (١٦٥٠).

وعن عائشة رضي الله عنها، «أن أباها كان لا يحنث في يمين؛ حتى أنزل الله كفّارة اليمين، قال أبو بكر:

لا أرى يمينًا أرى غيرها خيرًا منها؛ إلا قبلت رخصة الله، وفعلت الذي هو خير». البخاري (٤٣٣٨).

وكفارة هذه اليمين - وهي اليمين الشرعية وهي الحلف بالله ثم الحنث فيها بسبب أنه رأى خيرًا منها - في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩].

وهي على التخيير إن شاء أطعم، وإن شاء كسا، وإن شاء أعتق.

ومقدار الكفارة ما أخبر به نافع قال: «كان ابن عمر يعطي زكاة رمضان بمد النبي ﷺ - المد الأول -، وفي كفّارة

اليمين بمد النبي ﷺ، قال أبو قتيبة: قال لنا مالك: مدنا أعظم من مدكم ولا نرى الفضل إلا في مد النبي ﷺ، وقال لي مالك: لو جاءكم أمير فضرب مدًا أصغر من مد النبي ﷺ بأي شيء كنتم تعطون؟ قلت: كنا نعطي بمد النبي ﷺ، قال: أفلا ترى أن الأمر إنما يعود إلى مد النبي ﷺ». البخاري (٦٣٣٥).

ويعادله اليوم كيلو ونصف من بر، أو أرز، أو أي شيء من قوت البلد لكل مسكين .

وإن جمع المساكين العشرة، وصنع لهم طعامًا يكفيهم ويشبعهم وأكلوه جاز ذلك.

أما إن اختار الكسوة، فهو ثوب لكل مسكين سواءً رجلًا كان أو امرأة. والله أعلم.

المسألة الخامسة:

الاستثناء في اليمين:

وهو قول الحالف: والله لأفعل كذا إن شاء الله، أو يحلف على صديق له بالدخول ويعقبها بـ - إن شاء الله - .

فإن فعل الحالف ذلك؛ لم يحنث إن لم يُبَرَّ قسمه، لما ثبت عن أبي هريرة قال: قال رسول ﷺ: «**قال سليمان: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة؛ كل تلد غلامًا يقاتل في سبيل الله، فقال له صاحبه - يعني - الملك: قل إن شاء**

الله، فنسي، فطاف بهن، فلم تأت امرأة منهن بولد، إلا واحدة؛ بشق غلام»، فقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «لو قال: إن شاء الله؛ لم يحنث، وكان دركًا في حاجته». البخاري (٦٣٤)، ومسلم (١٦٥).

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «من حلف، فقال: إن شاء الله، فقد استثنى [لم يحنث]». أحمد (٢/١٠) ابن حبان (٤٣٣٩، ٤٣٤٠).

ولفظ الترمذي: «من حلف على يمين، فقال: إن شاء الله؛ فقد استثنى، فلا حنث عليه». حديث (١٥٣١).

وقال الترمذي (٤/١٠٨): «والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أن الاستثناء إذا كان موصولاً باليمين؛ فلا حنث عليه. وهو قول سفيان الثوري والأوزاعي ومالك بن أنس وعبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق».

ولفظ ابن ماجه: «من حلف واستثنى إن شاء رجع وإن شاء ترك غير حانث». حديث(٢١٠٥)، وهو لأحمد أيضًا (٦/٢، ٤٨، ٦٨).

ويشترط النية في الاستثناء، ولا يشترط الاستثناء أن يكون متصلًا باليمين عند بعض أهل العلم، بل من قاله في المجلس قبل أن يقوم؛ أجزأه.

ف «عن طاوس والحسن: له أن يستثني ما دام في المجلس وعن أحمد نحوه، وقال ما دام في ذلك الأمر، وعن إسحاق مثله».

ذكر ذلك ابن حجر في «الفتح»: (١١/٦٠٣).

ودليل ذلك ما جاء في حديث حلف سليمان - عليه السلام - المتقدم؛ ولم يستثن: «فقال له صاحبه - يعني - الملك قل: إن شاء الله، فنسي».

فظاهر الأمر لو استثنى عليه السلام بعد أن ذكّره الملك؛ لحصل الاستثناء ولم يحنث، وهذا ما أفاده قول نبينا ﷺ في آخر الحديث: «لو قال إن شاء الله؛ لم يحنث وكان دركًا في حاجته».

والاستثناء في الحلف له فائدتان:

الأولى: طاعة لله تعالى، وربط المسلم أموره بمشيئة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].

الفائدة الثانية: عدم الحنث في اليمين إن هو استثنى، فيبقى في حل من يمينه، إن شاء أمضاها وإن شاء ترك، ليس عليه شيء.

لقوله ﷺ: «من حلف فاستثنى فهو بالخيار؛ إن شاء أن يمضي على يمينه، وإن شاء أن يرجع، غير حنث - أو قال -

غير حرج». أحمد (٢/٤٨، ١٢٦، ١٢٧، ١٥٣)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٨/١٩٨).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾.

أي: الناس كلهم في خسارة، وفي هلاك وشر ونقص، وضلال، ثم استثنا سبحانه وتعالى؛ مَن اتصف بأربع صفات.

الأولى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟﴾.

الإيمان: هو التصديق بالقلب، والعمل بالجوارح، والنطق باللسان، وعطف العمل عليه؛ من عطف الخاص على العام؛ اهتمامًا به.

أي: إلا الذين صدّقوا الله ووحدّوه، وأقروا له بالوحدانية والعبودية والطاعة ولم يشركوا بالله شيئًا.

وهذا يبين فضل التوحيد، وأنه رأس العبادات، وبدونه لا يصلح أي عمل من عبدٍ أيًا كان. وهذا التصديق والإقرار بوحدانية الله تعالى يستلزم العِلْم بذلك؛ أولاً، وهو فرع من الإيمان لا يتم إلا به، قال تعالى في: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ .[محمد: ١٩].

الصفة الثانية: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

والأعمال الصالحات تشمل: أداء جميع ما افترضه الله عليهم، واجتناب ما نهاهم عنه من معاصيه، وهو شامل

لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحقوق الله وحقوق عباده؛ الواجبة والمستحبة.

الصفة الثالثة: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾.

أي: أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ يوصي بعضهم بعضًا بلزوم الإيمان - وهو الحق -؛ أي: يلزم الإيمان والعمل الصالح، والعمل بما أنزل الله في كتابه من أمره، واجتناب ما نهى عنه، ويحثون بعضهم بعضًا على ذلك ويُرَغبون بعضهم فيه، وهذا من كمال الإيمان، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال ﷺ: «**إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**».

البخاري (٤٦٧، ٢٣١٤، ٥٦٨٠)، ومسلم (٢٥٨٥)..

الصفة الرابعة: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾.

أي: يوصي بعضهم بعضًا بالصبر على طاعة الله، وأوامره؛ حتى يؤديها، والصبر عن معصية الله ونواهيه؛ حتى لا يقع فيها، والصبر على أقدار الله المؤلمة وأقضيته؛ حتى لا يتخطاها.

ومنه الصبر على الأذى، الذي يحصل للعبد من دعوته الناس إلى الكتاب والسنة، وإلى توحيد الله ونبذ الشرك، وإلى اتباع النبي ﷺ وعدم الابتداع، فإن من دعا إلى ما دعى إليه نبينا محمد ﷺ وسار على منهج السلف الصالح فى ذلك؛ لاشك أنه سيؤذى ولا ريب.

في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾.

مسائل

المسألة الأولى:

أن الإيمان أصل الدين، وبدون الإيمان لا يُقبل من العبد عمل، ورأس العمل التوحيد، ولن يقبل الله من غير الموحد صرفًا ولا عدلاً؛ ما لم يوحد الله.

قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالى:

[illegible] ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وقال تعالى:

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

المسألة الثانية:

أن الإيمان يزيد بطاعة الله تعالى، وينقص بمعصيته.

قال تعالى:

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾. [التوبة: ١٢٤].

وفي الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول «لا إله إلا الله» وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياة شعبة من الإيمان»**. مسلم (٣٥)، وغيره.

المسألة الثالثة:

أن الأعمال الصالحة تدخل في مسمى الإيمان.

قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣].

«عنى بالإيمان في هذا الموضع الصلاة»، ذكر ذلك الطبري، وقال به ابن كثير - في تفسيرهما.

والمقصود الصلاة إلى بيت المقدس قبل نسخ القبلة إليه.

المسألة الرابعة:
أن طاعة الرسول ﷺ داخلة ضمنًا في معنى الإيمان بالله، ويفسره قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].
وفي الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله...».
البخاري (٢٧٩٧، ٦٧١٨)، مسلم (١٨٣٤).

المسألة الخامسة:
تفاوت العباد في التسابق إلى الأعمال الصالحة في الدنيا، كما أنهم يتفاوتون في مراتب درجات الجنة في الآخرة.
قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].
وقال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢].
وقال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

المسألة السادسة:
تفاوت الناس أيضًا في الخسارة، فمنهم: من خسر الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ

أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

ومنهم: من خسر الآخرة وكسب الدنيا.

قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾ [الإسراء: ١٨].

ومنهم: من كسب الدنيا بالعبادة والاجتهاد في الطاعة، وتقوى الله تعالى؛ ومن ثم كسبَ الآخرة والفوز بالجنة؛ فضلًا من الله وإحسانا، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا﴾ [الإسراء: ١٩].

قال ابن كثير في تفسيره لآية [آل عمران: ١٤٥]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾:

«ولهذا قال ها هنا: ﴿وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾، أي: سنعطيهم من فضلنا ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم».

فاللهم اجعلنا من هذا الصنف.

(توجيـــهات للدعــــــاة)

في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾.

أولاً: الإيمان بالله تعالى.

ويتضمن الإيمان: بتوحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.

فيجب على الداعية تحقيق التوحيد، حتى يدعو بالحق إلى الحق، وأن يكون صاحب سنة، حتى لا يقع في البدعة في دعوته، فإن الداعية إلى الله تعالى متى عرف التوحيد وعرف السنة؛ كان داعيةً إلى كل خير بإذن الله تعالى.

ثانيا: وجوب العلم قبل الشروع في باب الدعوة إلى الله تعالى.

وهو من لوازم الإيمان بالله، وهو فرع عنه، فيلزم الداعية إلى الله تعالى؛ العلم بأمور العقيدة، والأحكام الفقهية، ومعرفة الحلال والحرام.... إلخ؛ حتى لا يقع في خطأ؛ فيَضل ويُضل.

ثالثًا: العمل الصالح من الإيمان.

فيجب على الداعية أن يكون قدوة، فيعمل بما علم؛

حتى تثمر دعوته، ويكون له القبول بما يدعو إليه، وحتى لا يقع فيما حذر الله منه في قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ - ٣].

رابعًا: الدعوة إلى الله تعالى.

وذلك بعد التسلح بالإيمان والعلم والعمل، فإن ذلك من كمال صفات الربح، حيث يدعو الناس إلى ما عَلِم مَن الحق.

والدعوة إلى الله، وتبليغ الناس الدين الذي هو الحق المبين؛ هو طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد أخذ الله تعالى - على كل من علّمه علمًا - العهد والميثاق أن يبينوا للناس ما يحتاجون إليه مما علّمهم الله، قال تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾. [آل عمران: ١٨٧].

ولتكن الدعوة إلى الله منضبطة بالضوابط الشرعية المرعية.

قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

خامسًا: الصبر على الأذى الذي يلاقيه الداعية إلى الله

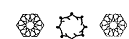
تعالى على هدي النبي ﷺ .

ولا ريب أن كل من يدعو بمثل ما دعا إليه الأنبياء؛ فإنه سيؤذى في دعوته أو في نفسه أوفي عرضه، وقد تجتمع هذه وغيرها عليه، وهذا دأب وطريق كل من دعا إلى الكتاب والسنة إلى التوحيد ونبذ الشرك، وإلى السنة ومحاربة البدعة- بخلاف أهل الأهواء والبدع الداعين إليها؛ فالأبواب أمامهم مفتوحة على مصراعيها، فلا عقابات كؤود، ولا أبواب مؤصدة أمامهم.

فلا يغتر الداعية بكثرة أتباع أهل الأهواء، ولا ييأس بقلة أصحاب وأعوان الحق؛ فإن الله تعالى أثنى على القلة فقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

وذم الكثرة فقال جل وعلا: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وقال عزوجل: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].



خلاصة فوائد هذه الآية الكريمة

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾.

يتصف الدعاة إلى الله تعالى: بالعلم والإيمان بالله تعالى، والعمل بما علم، والدعوة الى الله بالعلم الذي عَلِمه، ثم الصبر وتحمل ما يأتي من وراء ذلك؛ إن كان يرجو ما عند الله تعالى، وليُصبّر نفسه ويحتسب الأذى في ذلك.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، واجعلنا اللهم من عبادك المخلصين الصالحين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتبه

جمال بن فريحان الحارثي

١١/١١/١٤٢٥هـ

فهرس المراجع

- القرآن الكريم
- تفسير الطبري
- تفسير القرطبي
- تفسير ابن كثير
- تفسير السيوطي
- تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدي
- الحديث
- مسند احمد
- البخاري
- مسلم
- أبو داوود
- الترمذي
- النسائي
- فهرس المراجع
- ابن ماجة
- الإرواء للألباني
- صحيح الترغيب للألباني
- السلسلة الصحيحة للألباني
- الشروحات
- التمهيد لابن عبد البر
- عمدة القاري للعيني
- فتح الباري لابن حجر
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم

فهارس الموضوعات

الموضوع الصفحة

